سلسلة حياة
الرسول وأهل بيته

ShiaKids.Net

الإمام
علي بن أبي طالب (ع)



دار المحجة البيضاء

في الثالثِ عشرَ من رجبٍ سنة ٣٠ بعد عام الفيل، كانت امرأةٌ حاملاً وفي متوسطِ عمرِها تَقْطَعُ مُتثاقلةً الطريقَ الطويلَ المؤدّي إلى الكعبةِ.

كانَ ثمَّةَ رِجالٌ يُراقبونَ ذلك المشهدَ وتَساءلَ بعضهُمْ بفضولٍ:

- «إلى أينَ تذهبُ فاطمةُ بنتُ أسدٍ في هذهِ الساعةِ وتحتَ وهجِ الظهيرةِ؟».

اقتربتْ من الكعبةِ. إنحرفَتْ عَنِ البابِ واتَّجَهَتْ نحوَ الجِدارِ. لم تكنْ تعرفُ لِمَاذا.. لكنْ كانَ هناكَ نداءٌ خفيٌّ يشدُّها للذهابِ نحوَ الجِدارِ.

اقتربَتْ منه. وفجأةً انشقَّ الجدارُ ودَخَلَتْ فيهِ. بعد ساعةٍ خرجَتْ من بابِ الكعبةِ ثانيةً وبينَ يدَيْهَا وَليْدُها. رَفَعتْ رأسَها إلى الأعلى فرأَتْ السماءَ تَعجُّ بالملائكةِ وبِحاراً من النورِ تغمرُ الكونَ.

كانَ ذاكَ الوليدُ هو عليُّ بنُ أبي طالب(ع).

وجودَهُ فِي مكَّةَ محفوفاً بالخطرِ. وتَمادَتْ قُريشٌ في أذَى الرسولِ وتآمرت لقتلِهِ. فأوحى اللهُ إليهِ بما يُبيِّتُ له المشركونَ. فأَوْصَى الإمامَ (ع) المَبيتَ مكَانَهُ في فراشِهِ بينما يَخْرُجُ هو ليلاً مهاجراً إلى يثرب.



امتثلَ الإمامُ(ع) لأمرِ الرسولِ(ص) وعندما دخلَ المشركون لقتلِ الرسولِ(ص) وجدُوا علياً(ع) مكانَهُ فدُهشت قريشٌ لبسالةِ الإمامِ(ع) واستعدادِهِ للتضحيةِ بنفسهِ فداءً لابنِ عمِّهِ وفي سبيلِ الرسالةِ.

نجّى اللهُ رسولَهُ(ص) وأصبحَ الآنَ في يثربَ والتي أسماها فيما بعد بـ «المدينة» ولم يتبقَّ للإمامِ عليٍّ(ع) ما يفعلهُ في مكّةَ بعد أن أدّى الأماناتَ التي أوصاهُ بها الرسولُ(ص) إلى أهلها. فخرجَ إلى المدينةِ في أثرِ الرسولِ مُصطحباً معهُ بعضَ نساءِ بني هاشم.

في المدينةِ بدأ الرسولُ(ص) بتكوينِ مجتمعٍ لم يَعرفْ لهُ النّاسُ من قبلُ مثيلاً. مُجتمعاً قائماً على الإيمانِ والعدلِ والمساواة.

كانَ الإمامُ عليٌّ(ع) يراقبُ ويشاركُ الرسولَ(ص) في بنائهِ للدولةِ الإسلاميةِ الجديدةِ خطوةً بخطوةٍ. وبمرورِ الزمنِ ازدادَ عددُ المُسلمين واشتدَّتْ قوّتهم فأذنَ لهم الرسولُ(ص) بالقتالِ لاسترداد مُمتلكاتهم التي تركوها في مكّةَ. فبدءوا بمهاجمةِ قوافلِ المُشركين في الطريقِ ما بينَ مكّةَ والشام.

وردّتْ قُريشٌ على هذهِ الهجماتِ بإرسالِ جيشٍ لقتالِ المسلمين فكانت معركةُ بدرٍ التي انتصرَ فيها المُسلمُون وكان للإمامِ(ع) فضلٌ كبيرٌ في ذلكَ الانتصار. إبتهجَتْ المدينةُ لهذا الانتصار



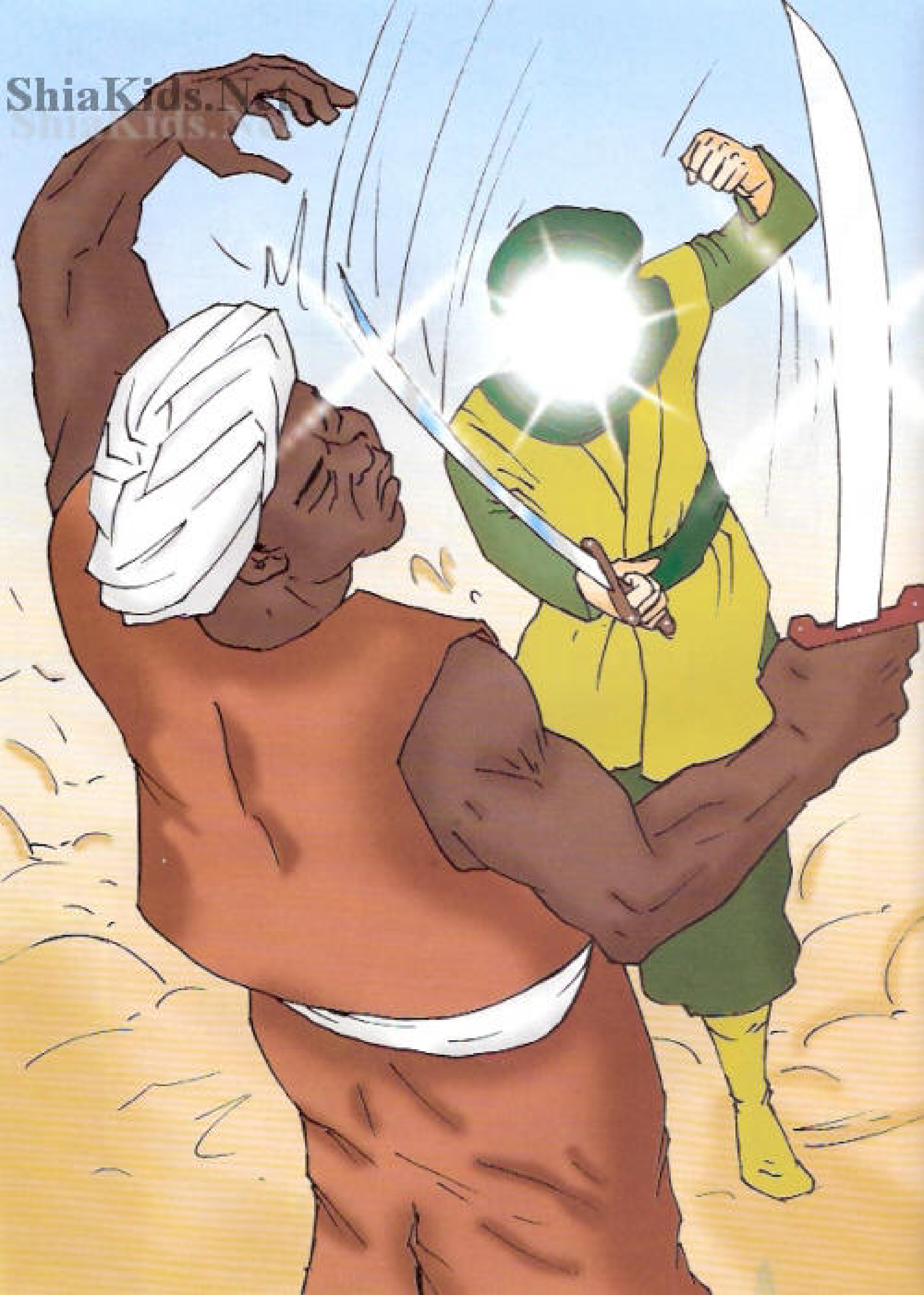
وبدأ المُسلمون يَنظرون
للإمام كَبطلٍ مغوارٍ. فهو
مَنْ قَضَى وحدهِ على
ما يُقارِبَ ثُلث قَتلَى
المشركين.



ارتأت قريشٌ أن القضاءَ على الرسول(ص) لن يتأتّى لها بمفردها فجمعَتْ قبائلَ العربِ وتوجّهت إلى المدينة في معركةٍ أرادتْ لها أن تكونَ الأخيرةَ مع الإسلام. استعدَّ المسلمونَ للمعركةِ وحفَروا خندقاً يحيطُ بالمدينة عجزَتْ جيوشَهم من عبوره، وأخيراً استطاعَتْ مجموعةٌ من الفرسان وعلى رأسهم بطلُ قريش وفارسُها عمرو بن ودٍّ العامري من اقتحام الخندق فتصدّى لهم الإمام(ع) وتمكّن من قتل فارسهم ابن ودٍّ العامري ممّا ألقى الذُّعرَ في قُلوب المشركينَ فلم يَجْرُؤ أحدُهم على عبورِ الخندق. مرّةً ثانيةً فآثروا الانسحابَ وانتصرَ المسلمونَ مرّةً ثانيةً بفضل شجاعة الإمام علي(ع).

بعدَ ذلكَ توجّهَ الرسول(ص) إلى خيبرَ لمحاربةِ اليهودَ الذينَ ساندوا المشركينَ في غزوةِ الخندَق. وعندما علمَ اليهودُ بمسيرِ الرسول(ص) إليهم تحصّنوا في حصنِ خيبرَ بقيادة فارسهم (مرحب). وبعد عدّةِ محاولاتٍ فاشلةٍ قامَ بها المسلمونَ لاقتحام الحصن، أعطى الرسول(ص) الرايةَ إلى الإمام(ع) فأخذَها وتوجّهَ إلى الحصن ففتح اللهُ خيبرَ على يديه. وفي هذه المعركةِ قتلَ الإمام(ع) فارسهم المسمّى (مرحب).

وفي العام الثامن للهجرة دخلَ الإمام(ع) مع المسلمينَ إلى مكّةَ وأزالَ بيديه الأوثانَ من ساحة الكعبة مؤذناً بنهاية الصراع الطويل مع قريش وبداية عصرٍ جديدٍ قائمٍ على الإسلام.



وفي العامِ العاشرِ للهجرةِ حجَّ الرسولُ(ص) إلى مكةَ وكان الإمامُ(ع) برفقته. وبعدَ انتهاءِ مراسمِ الحجِّ جمعَ الرسولُ(ص) المسلمينَ من مهاجرينَ وأنصارَ وغيرِهم في غديرِ خم وألقى فيهم خطبتَه الشهيرةَ التي قال فيها:

ـ «مَنْ كُنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاه».

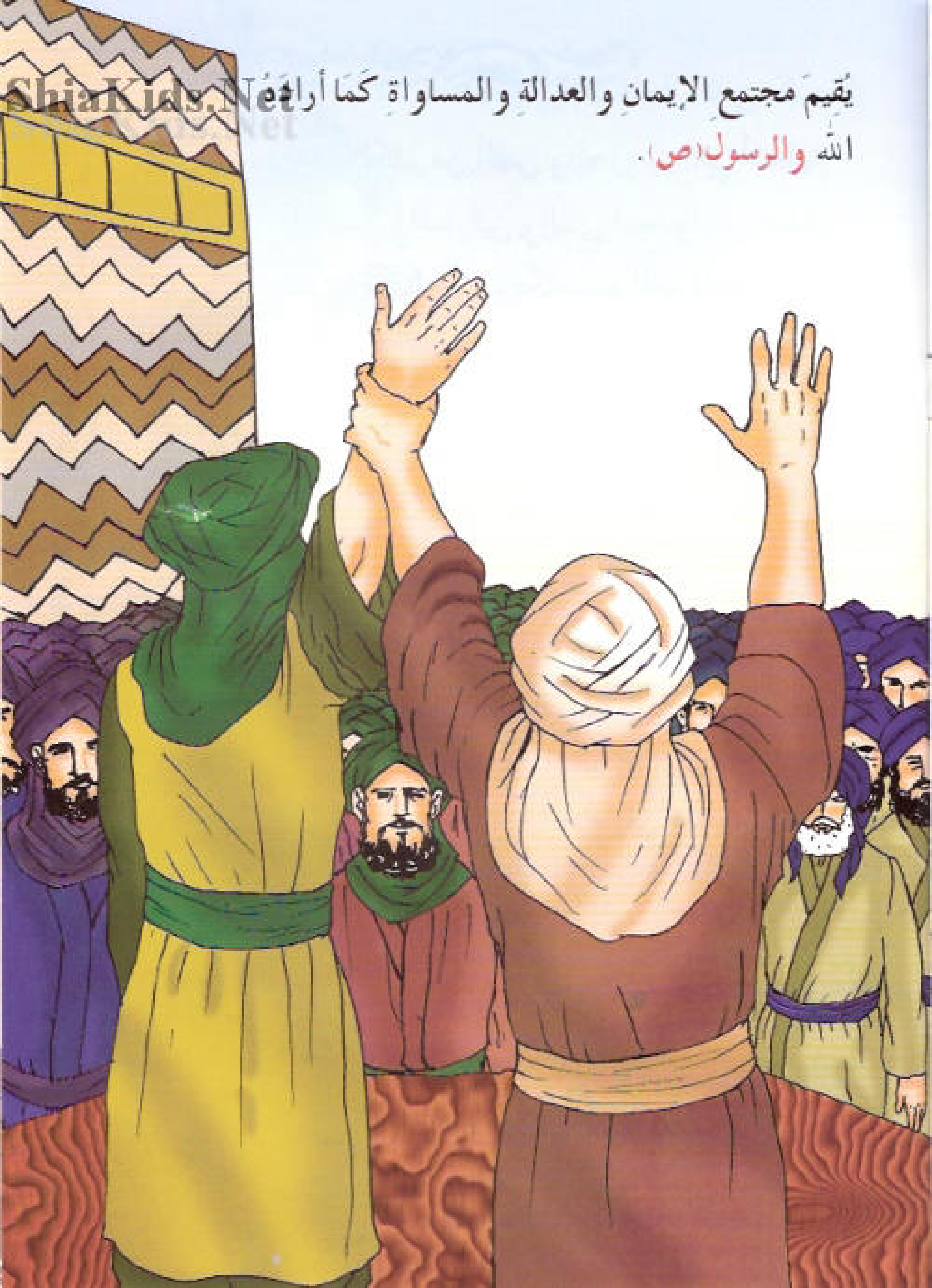
وقَدْ كانَ هذا عهداً صريحاً بالخلافةِ وقد استجابَ كبارُ الصحابةِ وعامةُ المسلمينَ لدعوةِ الرسولِ(ص). هذا وقاموا بمدِّ أيديهم ومبايعةِ الإمامِ(ع).

توفيَّ النبيُّ(ص) في العامِ الحادي عشرَ وبعدَ وفاتِه تراجعَ البعضُ عن مُبايعَتهم للإمامِ(ع). ونكثوا بيعتَهُم وأخذوا الخلافةَ رُغمَ وصيةِ الرسولِ(ص).

وبعدَ مقتلِ عثمانَ وبعدَ أن غرِقَت الدولةُ الإسلاميةُ في الفَوضى لَجأَ النَّاسُ إلى الإمامِ(ع) لينقذَهُم من وضعِهم البائس وطَلَبُوا مِنهُ تولِّي أمرَ المسلمينَ وحَمَلُوهُ إلى كرسيِّ الخلافةِ بمبايعةِ شعبيةِ لم تَحْدُثْ لأحدٍ قبلَهُ ولا بَعْدَهُ.

استمرَّت خلافةُ الإمامِ عليٍّ(ع) خمسُ سنين وقد نجحَ خِلالَها من أنْ يُعيدَ النّاسَ إلى طريقِ الإسلامِ الصحيحِ وأن

يُقيمَ مجتمعَ الإيمانِ والعدالةِ والمساواةِ كَمَا أرادَهُ
اللهُ والرسول(ص).



لكنّ عهدَهُ شَهد الكثيرَ من الفتنِ والحروبِ التي أشعلها مجموعةٌ من العاصينَ والمارقينَ والذي ابتعدوا عن جادةِ الحقِّ ممّنْ خسرُوا مصالحَهُم ومكاسبَهُم الغيرِ المشروعة والتي حصلوا عليها من العهد السابق.

حاربَهُم الإمام(ع) وهو على يقينٍ منْ أنّهُ يُقاتلُ في سبيلِ الله وفي سبيلِ الحقِّ وهزمَ جميعَ أعدائه كما هزَمَ المشركينَ من قبل وانتصرَ في معاركه في الجمل والنهروان وكادَ أن يَقْضيَ على أعدائه في صفّين لولا تخاذلِ البعض وتواطؤ البعض الآخر من قواد جيشه.

وبعدَ أن يأسَ أعدائَهُ من الانتصار عليه في ساحات القتال. لَجئوا إلى وسيلةٍ وضيعة للوصول إلى هدفِهم. فقام رجلٌ من هؤلاء، ويدعى عبدُ الرحمن بن مُلْجَم بتنفيذ مُخَطَّطِهم. فضربَ الإمام(ع) على رأسه الشريف وهو يؤدّي صلاةَ الفجرِ في مسجد الكوفة في التاسع عشر من رمضان عام ٤٠ للهجرة. بقي الإمامُ ثلاثةَ أيامٍ وبعدها توفّي. وقد خلّفَ استشهادَهُ ألماً وحُزْناً في نفوس

المسلمينَ ما زالَ قائماً إلى يومِنا هذا.

وهكذا انتهتْ حياةُ الإمام عليٍ(ع) الذي وُلدَ في بيتِ اللهِ مكّةَ المكرّمةَ. وقُتلَ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ في الكوفة.

فسلامٌ عليهِ يومَ وُلدَ ويومَ اسْتُشْهِدَ ويومَ يُبْعَثُ حياً.

